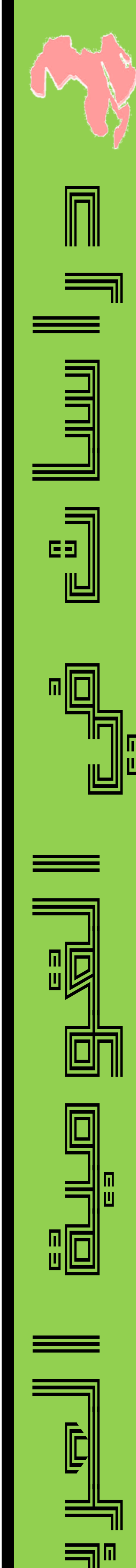



إبراهيم شوكت

# لماذا أنا قومي عربي





# لماذا أنا قومي

ابراهيم شوكة
بغداد 1948

## أولاً : القومية

نزعة ترمي إلى جمع الأمة الواحدة تحت لواء دولة واحدة وهي بهذا تعارض الأممية (انترناشنالزم) كنزعة، ولو أن من أغراضها التعاون الدولي في سبيل السلم العالمي والعدل. وعندما تهدف القومية إلى جمع أفراد الأمة الواحدة، إنما تفعل ذلك في سبيل سعادتهم المعنوية والمادية، بحيث يتنفس كل منهم في جو مشبع بالحرية، والجمال، والشعور بالذات صاحبة الثقل في الميزان الدولي.

وعند تحليل هذه النزعة، نجد أن القومية تطوي بين حناياها استهداف سعادة القوم، ونعني بهم أولئك النفر الذين يؤلفون الأكثرية الساحقة من الأمة، فمشاكلها مشاكلهم وعلاجها لأمراضهم. فإن قلت «أنا قومي»، فإنما أنت تستهدف ضمناً رعيك مصالح أكثرية الناس من بين قومك الذين سيطرت عليهم العلل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بما فيها من مادة ومعنى، فهي إذن مشتقة من «القوم» وهم لجمتها وسداها وهي في سبيلهم تعمل، ولهم تريد.

ولهذا كله نرى أن النزعة تضع «القوم» أمامها تحت المجهر وتنظر فيه وتقلّبه ظهراً لبطن كي تتلمس مواطن المرض والخطر فيه. ثم انها تستغل كل قابلية تكشفها وكل رابطة تجدها ـ مادية كانت أو معنوية ـ في سبيل تقاربه لاعطائه تلك المناعة التي يكافح بها في سبيل حياته.

### ١ ـ عناصر القومية ومقوماتها

إننا بشر في عالم ذي أمم يختلف بعضها عن بعض، ومن ينظر في بطن التاريخ ويدرس أحوال العالم الجغرافية يتضح له ذلك جلياً. ومن أمم الأرض أمة تسمّى الأمة العربية، وأنا

فرد منها وكل عربي فيها شأنه كشأني. نحن أفراد هذه الأمة الأحياء قد ورثنا كيانها المادي والمعنوي، ونحن بوجودنا حلقة في سلسلة حياة هذه الأمة نمثل آخر حلقة فيها، وعلينا تقع مسؤولية تكوين هذه الحلقة فكياننا القائم كيانها، ونحن كذلك مسؤولون عن ربطها بالحلقة التي تليها للجيل القادم.

فنحن، إذن، وارثو أمة ـ فلا أقل من أن تكون حياتنا بذاتها إرثاً ومسؤولية ـ يجب أن يتصرف بها بطريقة بحيث تؤدي رسالتها ـ كما هو شأن بقية الأمم ـ وهذه الرسالة هي اسعاد المجتمع الذي نؤلف أفراده، كل ذلك في سبيل تدعيم الخير العام والسعادة والسلام العالميين. وهذه الأهداف هي التي تتوخاها أكثر الأمم ـ أو على الأقل تدعي ذلك ظاهراً.

## ٢ ـ ما الذي يؤلف بيني وبين هذه الأمة

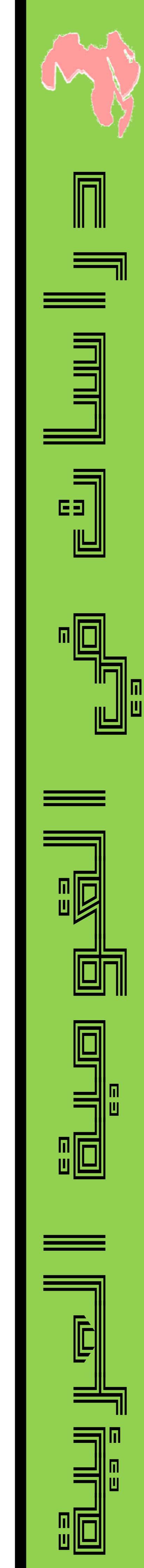
أو بعبارة أخرى ما هي أسس القومية العربية ومن هو العربي؟

أ ـ لغتي التي اتكلمها والتي أتذوقها والتي تنقل ما أفكر فيه وما أحسه وما يجول بخاطري إلى الآخرين، وبها أفهم ما يراد وما يحسّ، وهي طبعاً رابطة معنوية كبيرة وعلى أساسها وزعت هذه الأمم كتلها الكبيرة على سطح الأرض. وتؤلف اللغة جزءاً هاماً من شخصية الأمة العربية، إذ بواسطتها يعرف الأفراد أنفسهم وبها يتفاعل الأفراد في المجتمع. وهي، إلى كل ذلك، غذاء فكري عظيم للأفراد تكوّن شخصيتهم الثقافية وتعيّن لدرجة ما فعلهم وأعمالهم في المجموع. وهي من أعظم الوسائط التوجيهية للمجموع سواء كان ذلك من وجهة معنوية أو من وجهة مادية.

ب ـ ورث الأفراد تاريخاً، أي رابطة معنوية أخرى، وهذا التاريخ يعيّن لهم مركزهم من العالم، وموقفهم من أنفسهم في الماضي وكذا موقفهم من بقية الأمم، ويشعرهم بأهميتهم ويطلعهم على رسالتهم في الحياة، ويوضح لهم أهدافهم ودرجة واقعيتها؛ والتاريخ بمثابة الحس والشعور بالحياة والذات والشخصية، ويوضح لهم مشاكل الماضي وكيف عولجت والأخطاء التي ارتكبت والطرق التي أدت بهم في الماضي إلى حفظ الحياة ووحدة الشخصية. ثم انه يريهم عللهم. ولا يعني هذا أننا نقعد على قارعة الطريق نندب حظنا ونتغنى بأمجادنا الماضية ومآثرنا الخالية، بل نستغل هذه في سبيل إيجاد محفز ودافع على العمل والتقدم.

ج ـ المساهمة الفعلية ضمن المجتمع من قبل أفراده، وهذه المساهمة هي صوغ حلقة التاريخ القائم متعاونين متضامنين. فالأهداف المشتركة والعمل على الوصول إليها والآمال المشتركة التي يتطلع إليها أفراد المجموع كلها تربط الأفراد ببعضهم ربطاً وثيقاً.

د ـ وحدة المحيط، وسمّه ما تريد، بالجغرافي وإن شئت بالطبيعي. وعلى كل، فلهذه الأمة موطن تحت الشمس تقوم بفعاليتها على أرضه التي يمتلكها الأفراد فعلاً، فإن لم يكن كلها فجزء منها على الأقل والباقي مشاع أو ملك للدولة (وفي العراق على الأخص). ومن المحيط الطبيعي، هذا المناخ وما ينتجه وما يؤثره على الأفراد من طراز بناء ولباس وعادات



وغير ذلك. وكل الظواهر المحيطة هذه يشترك في استخدامها أو مقاومتها الأفراد، فتعمل على التقارب بينهم وتؤلف بين جماعاتهم في سبيل العمل الاجتماعي.

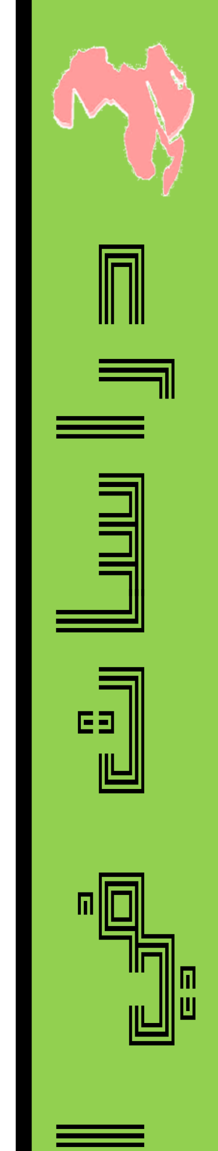
هـ ـ الولاء للأمة العربية: يعني الترجيح والعمل على خير الأمة التي يكون الفرد جزءاً منها. فالولاء للأمة يربط الفرد بها ربطاً وثيقاً، وتشعب الولاء من أخطر الأمور الاجتماعية. ويعتبر الأفراد المقسمي الولاء في بعض الظروف من الخونة المارقين الخطرين، ومن هنا نشأت فكرة خطر الزواج بالأجنبيات اللواتي يغذين أبناءهن بلبان الولاء المشعب فيضيع الولد بين قوم أمه وقوم أبيه. ولقد بلغت سخرية القدر حدّاً من الذين يتزوجون بأجنبيات أن يسمّوا أولادهم أسماء مشتركة بين المسميات العربية والأجنبية حرصاً على إبقاء هذا العطف على أمتين على ما يظهر، وفي هذا ما فيه من خطر على الأمة. ومن تشعب الولاء هذا ولاء الشيوعيين لمهد آمالهم ومحط مطامحهم (روسيا). فهم ينظرون إلى كل شيء في وطنهم بمنظار مصالح من يوالونها، فتصبح مصالح هذه مفضلة على مصالح الأمة التي أنجبتهم وأظلتهم وغذّتهم، فهم بهذا كالهر يعض يد من يداعبه برفق وعطف.

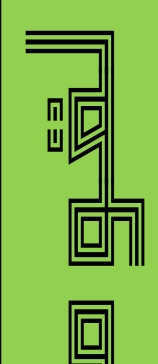
من كل الروابط التي بحثنا أمرها في ما سلف، يرى القارىء أننا لم نعر قضية الدم أهمية ولو بسيطة، ولم نتعرّض للدين في هذا المجتمع، وذلك لأنني أعتقد مؤمناً بأن الدم خرافة من خرافات المتطرفين الذين يتوخون من وراء التمسك بها أمراً سياسياً آنياً. فقضية الرس (راسيزم) (أي وجود أمم نقية الدم تربط بينها روابط طبيعية لا تقبل الشك) من القضايا التي يثور عليها العلم الصحيح، وذلك لاختلاط الشعوب ببعضها، ثم عدم معرفة الأحفاد عن أجدادهم شيئاً كثيراً، فأكثر أفراد الأمم لا يدري من جده الثالث أو الرابع فكيف بإثبات نقاوة دمه، وعلى الأخص في هذه الأرض من البلدان العربية (العراق) التي مرت عليها أدوار تاريخية كانت موضع غزوات واستعباد وولّد اختلاطها بالفاتحين اختلاطاً عظيماً سحناً وصفات بدنية كثيرة هي بعيدة كل البعد عن الخصائص النقية التي توصف لنا من قبل متعصبي نظرية الرس. أما الدين فليست له علاقة بالقومية بصورة عامة (إلا الدين اليهودي)، أما في ما يخص الدين الاسلامي وعلاقته بالقومية العربية، فالقومية تعتبره نتاجاً عربياً يؤلف جزءاً من تراثها وثقافتها وتشريعها فيستخدم بقدر ما يؤدي هذا الاستخدام الى سعادة الأمة العربية ورفاهها. فيمكنك أن تعتنق أي دين تشاء (عدا الدين اليهودي طبعاً فإنه يستحيل عليك ذلك) وتبقى محافظاً على قوميتك، فالعربي المسيحي إذا اعتنق الدين الاسلامي بقي عربياً طبعاً. وأما الفرنسي الذي ينتسب إلى أمة فرنسية لا يخرج على هذه الأمة بمجرد اعتناقه الإسلام حتى ولو أراد ذلك، اللهم إلا إذا تغيرت ظروفه وأصبحت الأمور التي سردناها كروابط للقومية صادقة على أحفاده في مجتمع عربي بحت وأصبح ولاؤهم تاماً لهذه الأمة. فلو جاءني رجل وقال لي يا فلان أنت تدّعي العروبة، فأثبت لي بأن دمك عربي، وأنك تنتسب إلى هذا القوم مادة، كان جوابي عن سؤاله هذا اسئلة عديدة وهي:

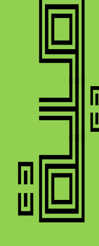
١ ـ هل أني أتفاهم بلغة غير لغة العرب في المجتمع؟ الجواب: لا.

٢ ـ هل أني أوالي أمة غير هذه الأمة؟ لا.











٣ ـ هل أني أساهم في حياة وتاريخ أمة غير هذه الأمة؟ لا.

٤ ـ هل أن أهدافي في خدمتي الاجتماعية غير اسعاد هذه الأمة؟ لا.

٥ ـ وهذا السؤال ختام المسك: إن لم أكن عربياً وأنت تنكر علي عروبتي، فإلى أي قوم إذن أنتسب أنا؟ فليس هناك من بشر لا ينتسب إلى قوم.

إذن فأنا عربي حتى ولو لم أتمكن أن أعدّ أكثر من ثلاثة أجداد سبقوا والدي في الحياة، وهل يستطيع أكثر الناس أن يرجعوا بأجدادهم إلى أكثر من أربعة أو خمسة أجداد؟

ثم ما الذي يكون من بعد ذلك؟ وإذا لم يستطع أحد هؤلاء تعداد الجدود فهل يخرج عن كيان هذه الأمة؟ ويصدق هذا على كل الأمم بصورة عامة، وعلى الأخص في هذا الجزء من البلدان العربية (أي العراق) الذي اختلط الناس فيه اختلاطاً أكبر بحكم موقعه وخصبه، وهذا تاريخه الحافل بالغزوات والهجرات إليه.

إنني لا أنكر أن هناك ميزات سحنية عامة تميز الأمم بعضها عن بعض وتُعتبر هي الصفات الأصلية، ولكنها لا يمكن أن تصبح عماداً للقومية، وإني آخر من يفكر في أن يشترط في العربي نقاوة الدم أو فيه غالبية الدم العربي لأنني أعدّ العناصر المعنوية والمادية في القومية هي أهم وأعمق كأركان أساسية راسخة.

لنلتفت الآن إلى الغرض الذي نرمي إليه من وراء القومية، ولماذا نريد بعثها في الأمة العربية أولاً، ذلك أن القومية هي الواسطة الوحيدة التي تبعث في الأمة الشعور بحق الحياة والمساواة مع بقية أمم الأرض بصورة حرة، بحيث يقوم العرب أنفسهم في التصرف بحياتهم وبمرافقهم وفقاً لأهداف عدة منها ما يخصهم ومنها ما تمس الآخرين. أما في ما تخصهم فهي اسعاد هذه الأمة. والسعادة هذه طبعاً تتألف من عناصر مادية ومعنوية مرتبطة مع بعضها بصورة وثيقة لا تنفصم، وأهم ركن من أركان العنصر المادي من السعادة هي الناحية الاقتصادية في حياة المجموع، وأعني بذلك توزيع ثروة البلاد العامة بحيث تكفل تطمين الناحية المعنوية من السعادة وهي اللذة بجمال الحياة والطمأنينة ورفع مستوى البشرية كي يسود العالم السلام والجمال والحب.

أما ما تمس غيرهم فهي أن العرب يعترفون بحق حياة بقية الأمم ضمن مصالحهم. وللأمم الأخرى الحق ـ كما للأمة العربية ـ بتنظيم نفسها ووضع كيانها على أساس تختاره تلك الأمم. وهي حرة في ذلك طبعاً إلا إذا كان ذلك مهدداً لكيان الأمة العربية أو يمس مصالحها الجوهرية. وقوميتي العربية التي تعترف بهذا كله تنظر إلى الاستعمار بأنواعه على أنه أول عدو لدود يهدد حياتها وينشب في حنجرتها مخالبه ويضع في أيديها وأرجلها القيود، ويكمّ فاها فيفقدها حتى حق الشكوى من إرسال الآهات والحسرات.

فالقومية العربية إذن تنشد الحياة، لا على حساب الغير ولا باستحقار الغير (القوميات الأخرى) واستضعافه أو انكار حقه في الحياة، بل بالعكس فهي تدعو الغير إلى احترامها

باحترامه وتربيه إن كان ضعيفاً ما هي السبل الى تقوية نفسه على أساس التعاون المشترك للوصول إلى السعادة العامة، وذلك بضربها من نفسها مثلاً على ذلك في كفاحها السليم. هي قومية مسالمة تعاونية (كما ترى) لمن ينشد سلام العالم وسعادة الناس تحت ظل الحرية. وهي عدوة لدودة لكل أمة تفكّر في أو تستهدف أو تريد ابتلاع أمة أخرى مهما كان ذلك الابتلاع ومهما كانت الحجة التي تظهر تحت أقنعة مختلفة، فتارة نشر المدنية وأخرى التحرير، كما تفعل بعض الدول الكبيرة في أوروبا بالدول الصغيرة منها.

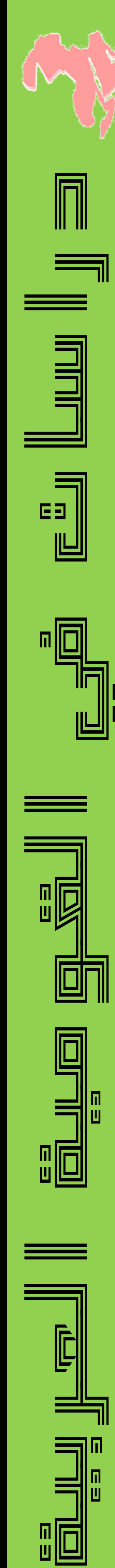
## ٣ ـ هل القومية العربية عدائية

إن وجود عنصر العدوان في القومية يتضح من أهدافها، وبما أن هدف القومية العربية (جمع العرب تحت لواء واحد في سبيل سعادتهم المادية والمعنوية، وشعورهم بالحرية وجمال الحياة) ويعني هذا حب الأمة العربية ولا يعني، ولا بأي حال من الأحوال، عدوان بقية الدول أو كره بقية القوميات، فحبنا لأنفسنا أمر يخصنا نحن وليس من المنطق أن يكون حب النفس عدواناً على الآخرين، أو بعبارة أخرى عداء بقية القوميات مهما كانت، إلا إذا وقفت دولة دون هدفنا فإننا بطبيعة الحال نعاديها كدولة فقط لا كقومية أو نزعة. ثم إننا عدائيون حقاً وليس في عدائنا هوادة لكل أمر يفكك من أوصالنا كالاستعمار، مثلاً، فإننا نصطدم به حتماً في سبيل حياتنا، فإذا كان هذا اعتداء فاللهم أشهد بعدائنا للاستعمار.

وليس من الطبيعي للعربي الذي يستهدف الحرية والسعادة لأمته أن ينكر على القوميات الأخرى حقها في الحرية ونصيبها من السعادة، ولكن شرط أن لا تتعارض أهداف هذه القوميات وسعادة أمته أو حريتها.

إن نغم «القومية العدائية» من شعار بعض الناس الذين يدينون بمذهب سياسي غير القومية ويرون فيها خطراً على طرق كفاحهم في سبيل تحقيق هذا المذهب الذي هو في طبيعته يعادي النزعة القومية التي تدعو إلى عدم التفريق «في أمة واحدة» بين صفوفها على أساس «كادح» و«برجوازي» وتشطر المجتمع الى طبقتين تعادي الواحدة الأخرى فتبيّت لها ماضي الخناجر.

فإن قال هؤلاء إن القومية العربية عدائية، فهي نعم تعادي كل ما من شأنه أن يشق الأمة العربية إلى شطرين (على أساس مادي غير مستقر) يكره شطر منها الآخر ويبيّت له الشر الأحمر للقضاء عليه وافنائه من على وجه الأرض لا لجرم جناه. غير أن المجتمع قد فسح له المجال أن يجمع المال، هذا في الوقت الذي يتمكن المجتمع ذاته من القضاء عليه «نسبة» من وجهة مادية ويبقي على حياته ويستخدم طاقته وقابلياته في سبيل النفع العام. وهناك مسألة أخرى أود التعرض إليها وهي موقف القومية العربية من الاقليات القومية غير العربية التي تعيش في البلدان العربية. والجواب عن هذا هو عين موقفنا من «الأرمن» الذين أرادوا أن يرجعوا إلى وطنهم في أرمينيا فذهب قسم منهم بحرية تامة. فلقد عاش هؤلاء في البلدان العربية يحافظون فيها على لغتهم ومدارسهم ويقيمون شعائر دينهم ويحترفون ما يرونه لأنفسهم



وهم في حقوقهم المدنية كمواطنين لا يختلفون عن بقية العرب. فأين العداء؟ لقد بلغ بنا التسامح أن آوينا بين ظهرانينا من ذهب إلى أرمينيا ثم رجع بعد أن لم ترق له الحياة هناك فأين العداء؟

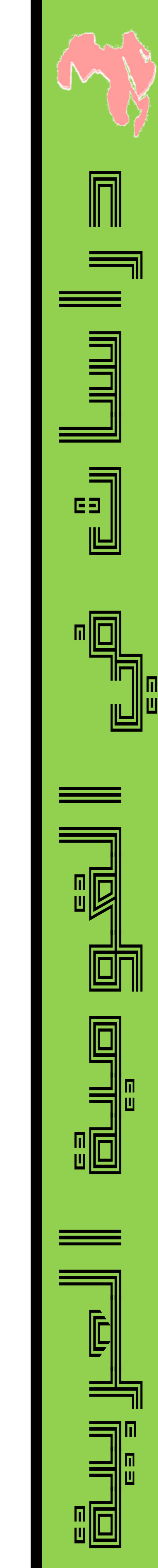
إننا لم نحرّم على أية قومية كانت حق الحياة الهادئة السعيدة اللهم إلا إذا أضرت بنا، فإننا في سبيل الدفاع عن أنفسنا نعادي ونكره كما يكره غيرنا ويعادي في سبيل حياته ومصالحه، فلمَ يبرِّر هذا لغيرنا وينكر علينا؟ ولا بد لنا، ونحن في معرض الأقليات القومية، أن نقول كلمة مخلصة صريحة لإخواننا الأكراد: هل تنكرون قوميتكم أنتم؟ الجواب على هذا لا لأنه أمر غير طبيعي، فلمَ إذن تنكرون منا إن نحن قلنا بقوميتنا؟ ثم هل أن العرب عملوا قديماً أو حديثاً على قتل قوميتكم أو أنهم استنكروا منكم تمسككم بها؟ اللهم هذا تاريخهم في الماضي البعيد، وفي الآن القريب يشهد بحبهم إياكم وعطفهم عليكم واشتراكهم معكم في ما قسم لكما في هذه الحياة المشتركة في بقعة واحدة. لقد ساهمتم في تاريخ هذه الأمة وأنت صفحتكم فيها بيضاء ناصعة، فهل من بعد هذا نضمر لكم عداء أو سوءاً. وثم هل من العدل أو المنطق أو الوفاء أن نعاديكم أو نضمر لكم الشر وأنتم لا تعادوننا ولا تضمرون لنا غير الحب والعطف؟ أين أذاكم إيانا كي نرد عليه بالكره والعداء، ثم هل أن العدل والمنطق يقضيان على سبعين مليوناً من العرب أن يتجنبوا لمّ شعثهم وأن يسكتوا عن نزوعهم إلى الاتحاد في سبيل حياتهم كي لا يغضب غيرهم لمجرد كونهم من قومية أخرى تقيم بين ظهرانيهم وتختلف عنهم؟

## ثانياً: نظرة في الاقتصاد القومي ودواعيه

تعتمد الأمم التي تنشد الحياة الحرة العزيزة على المنظمات الاجتماعية التي يؤلفها أفرادها لأن قوة الأمة مناطة بقوة الجماعات والأفراد، فهي تفتقر إلى كل عنصر من عناصرها في سبيل الكفاح بقطع النظر عن أي اعتبار مادي يتصف به الفرد. وهي مضطرة إلى هذا ملزمة به إن هي أرادت انتزاع حقها انتزاعاً، وأعني بذلك انتهاجها طريق القوة ـ بكل ما في هذه الكلمة من معنى ـ لكسب حقها والدفاع عن كيانها.

ولا يخفى على أحد أن الأمة العربية يتنابها مرضان خطران يشلّان حركتها ويقتلان فيها عنصر الخير والسعادة هما المرض الخارجي الفتاك ونعني به الاستعمار، ومرض داخلي آخر لا يقلّ فتكاً واستفحالاً هو مجموعة من الاستغلال المادي والمعنوي ومن الأفكار السامة ـ وهي استعمار فكري ـ والنعرات المفرقة لصفوف الأمة، ثم المرض والفقر، وهذه كلها تعيق الأمة عن أداء رسالتها المزدوجة ومسؤوليتها الثنائية تجاه نفسها أولاً، وتجاه العالم ثانياً.

وبديهي أن ترى القومية أن الأمة العربية وحدة كاملة متراصة عليها أن تقف بكل عناصرها سداً منيعاً حصيناً لا يقبل التزعزع ولا تدع للأفكار التي تلقي في روع الأفراد البغضاء والكره والتي تلقّن عادة ومن شأنها التفكيك ـ أن تتسرب إليهم ـ وعلى الأخص ما



يشبع به أذهان العمال بأنهم مستغلون من قِبَل طبقة عندها المال الذي يستعبدهم. وإذا ما نحن طبّقنا هذا التحليل لوجدناه بعيداً عن الواقع في العراق، إذ إن أكثرية السكان هم من الفلاحين وسكان القرى والأرياف. والفلاحون يشتغلون على أرض هي ملك الدولة نفسها قد اعطيت باللزمة إلى الشيوخ، وقد كوّن هذا ـ لسوء حظنا ـ شيئاً كالاقطاع، وهذا يزول، وزواله سهل ميسور عند كل ذي نظر ـ بعيداً كان أم قريباً ـ وذلك لأن المالك الأصلي هو الدولة نفسها وربّ الإقطاع ليس المالك الحقيقي إلا في ما قلّ وندر من الأحوال.

ومن البديهي عندما نقول بالقومية أن نعتبر القوم وهم الأكثرية الساحقة من السكان أنهم هم الذين من أجلهم يكون الجهاد والكفاح، وإلا فلمن؟ وإنما جاءت القومية التي سميت باسمهم من أجل الدفاع عن كيانهم وحياتهم وإلا فما القومية وما معناها إن لم تدلّ على ما أسلفت؟

إن أي كفاح إن لم يقم على دعائم قومية، أي أن يستمد وحيه من الشعب نفسه ويكون وجوده من أجله ـ بكل ما في هذا من معنى ومغزى ـ يكون نصيبه الفشل.

تعتبر القومية العمال والفلاحين والفعلة أول عنصر أساسي في كيان الأمة، وهي إنما تتوخى لهؤلاء السعادة في الدرجة الأولى لأنهم أكثرية ساحقة وعددهم كبير، تلازمهم الأمراض الاجتماعية والاقتصادية والخلقية. وهم في الوقت عينه قوة خارقة عاتية إذا ما وقفوا صفاً واحداً وأخذوا بأيديهم وسائل علاج هذه الأمراض. فالقومية، إذن، تدرك أن ما من حركة اصلاحية إلا وتكون مستندة إلى الشعب وتأييده وقوته وتعتبر إرادته فوق كل إرادة.

فلذا تستهدف تنظيم صفوف الشعب إلى منظمات تكون وحدات تتعاون للوصول إلى هدف مشترك واحد هو تحقيق السعادة والاستقرار، وذلك بضمان حياته ضماناً اجتماعياً واقتصادياً باعتباره العنصر الفعال ولحمة الشعب وسداها الحقيقيين، فلذا ترى القومية مقدماً أن ضمان حياة الفرد العربي في مجتمعه يحتّم تأمين المعاش والتربية والرعاية لنسله وإعطاءه أكبر نصيب في المتعة والشعور بالسعادة في هذه الحياة، كي يحس بجمالها ويتذوق طعمها مما يؤدي إلى شعوره برسالته في الحياة ويجعله عضواً في المساهمة بحضارة البشر القائمة والقادمة.

ولا يمكننا أن نضمن للفرد ما أسلفنا إلا إذا وضع النظام الاقتصادي القائم على أساس هو غير الحرية الاقتصادية المعلقة للفرد (باستغلال أراضيه وتجارته ورأسماله وعلاقاته مع الفلاحين والعمال) فتدخل الدولة يجب أن يكون أوسع مما هو قائم الآن بكثير كي يكفل العدل على أساس قويم.

ولا يخفى على أحد أن من أهم نواحي الانحلال الاجتماعي هو الانحلال الخلقي واليأسَ الناجمين عن الفقر والجهل، وهما علة العلل في مجتمعنا العربي. ومن البديهي أن الرفاه الاقتصادي يزيل هذه العلل من الوجود تقريباً. ولذا نشعر بوجود الأمراض ونرى حلولاً اقتصادية مبنية ـ كما أسلفت ـ على الضمان في نواحيه المختلفة وبوسعته الشاملة الكاملة.

فالقومية العربية، إذن، شعبية ـ أي أن وجودها هو لوجود هذا الشعب ومشاكله ـ ثم إنها تستمد قوّتها منه باعتبارها قومية من القوم أنفسهم، فقوّته من قوتهم. ثم إن همها علاج الأمراض التي شرحتها آنفاً باعتبارها مضادة لسعادة الشعب، فهي تعادي كل ما من شأنه أن يعيق سعادة الفرد العربي من هذا القوم.

وأول خطوة عملية تراها لتحقيق هذه السعادة هي أن يضمن معاش الفرد المنتج بحيث لا يتعدى مستوى يجعله في ضيق، مما يؤدي به إلى الانحلال والتفسخ والتذمر واليأس.

لا تؤمن القومية العربية بالطبقية ولا تعترف بوجودها، بالمعنى الاقتصادي الذي يدور على ألسن أصحاب المذهب المادي في تعليل التاريخ ـ وهي بالفعل ليست موجودة إلا على ألسنة اليساريين أو أنها موجودة في الكتب الشيوعية ـ وكل ما هنالك أن ٨٠ بالمئة من سكان العراق هم سكان قرى وريف ومزارع وأكثرها ليست ملكهم بل ملك الدولة أُعطيت لهم لاستغلالها لمصالحهم مبدئياً، إلا أن بعض الأشخاص من هذه المجموعات قد استبد وهيمن على انتاجهم وأيّده في ذلك الاستعمار. فإزالته من ضروريات الوضع الاقتصادي الصحيح، وإرجاع الأرض إلى مستغليها الحقيقيين، ولا يؤلف هؤلاء الأفراد القلائل (من المسيطرين) طبقة بمعناها المعروف. أما سكان المدن فهم بين موظف وعامل وفاعل وأجير وصاحب حانوت صغير وتاجر.

وإذا ما أردنا التماس الرأسمالي ـ بالمعنى المعروف ـ فإننا لا نجد إلا أفراداً لا يتجاوزون أصابع اليد، فليس من المنطق أن نقسم الأمة الى طبقات اصطناعياً من أجل هؤلاء.

فلذا ـ ومن بعد ما أسلفت ـ ترى القومية أننا طبقة واحدة في وحدتها لمقاومة عدوان مشترك يقضي على الأمة بأجمعها ويسحقها بقوته، وهو الاستعمار.

ولا يعني هذا، أنه إذا ما تُرك الحبل الاقتصادي الحر على الغارب لن تمرّ الأمة بمرحلة تتكون فيها طبقات وتتوزع الثروة توزيعاً غير عادل يؤدي إلى استغلال الأفراد، هذه هي الحرية الاقتصادية المطلقة، فلذا ترى أن تدبّر الأمر مقدماً ووضع حدود تضمن عدم قيام الفوارق العظيمة بين الأفراد إلى درجة تتكون في الأمة طبقات بعيدة بعضها عن بعض من وجهة اقتصادية بعداً شاسعاً، فهي ترمي إلى وضع قيود من شأنها أن لا توجد هذه الطبقة، وإن وجدت فلا تكون طبقات بمعناها المعروف، وذلك لتقليل الفروق الاقتصادية بينها. ولا يتمّ هذا إلا إذا تدخلت الدولة في شؤون الفرد الاقتصادية، وعلى الأخص إذا كان هذا الشأن يمس مصالح أكبر عدد ممكن من الجماعات. فالقومية تنظر إلى الحرية الاقتصادية بهذه العين المنطقية الصحيحة.

ولا يخفى أن وجود الطبقات الاقتصادية ذات الفروق الكبيرة يولّد اشمئزازاً ويأساً وكرهاً وعداء بين هذه الطبقات، وكل واحدة منها تعتبر الأخرى مجرمة آثمة، ومن هنا ينشأ انشقاق الأمة وينشغل الكل بعضهم ببعض، ويقضوا بذلك على روابطهم القومية قضاء




تاماً، فتدب الفوضى في البلاد ويعمها الكره وروح الانقسام والتفكك الاجتماعي، وفي هذا ما فيه من خطر داخلي وخارجي على الأمة.

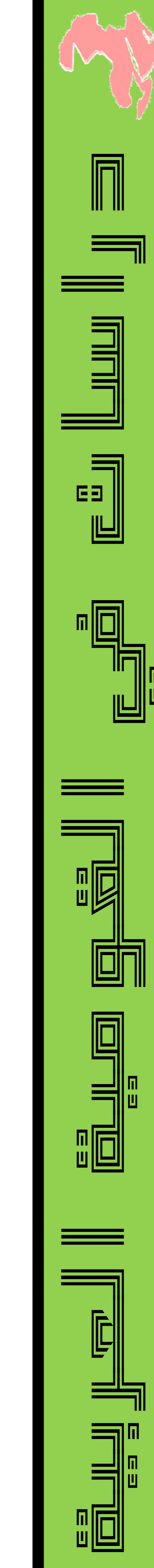
ولحسن حظ البلدان العربية - والعراق على الأخص - أن فلسفة حرب الطبقات قد بُنيت في الدرجة الأولى على صراع قائم على الاختصاص بالعمل وتعقُّد الصناعة وعدم الموازنة بين الانتاج والصرف، وعلاقة ذلك بالأسواق التجارية والمنافسات الصناعية. كل هذا نحن بعيدون عنه بعد السماء عن الأرض ولسوء حظنا - في الوقت نفسه - نرى الاستعمار ومن توالى على الحكم قد ظلم وجار فعمّم الاشمئزاز، وعمل هذا على دفع الفقراء وغيرهم إلى تقبُّل الفكرة وإن لم يفهموها على حقيقتها، فسرت في أوساطهم سريان الإسلام بين الأعاجم، فالفارسي أو التركي الذي يرتل القرآن الكريم يبكي وهو لا يفقه منه حرفاً واحداً.

تحرص القومية على أمرين أولهما أن تبقى الأمة العربية عربية بخصائصها وصفاتها ولغتها وحضارتها وطابعها المعروف، وذلك بالمحافظة على تراثها المادي والمعنوي الذي يمثّل هذه الشخصية. ولا يعني هذا أنه يحرص على إبقاء كل ما من شأنه أن يعيق تطور الأمة ونموها إذ إنها تنظر إلى كل ما تقدم بمنظار المصالح، فمصلحة الأمة فوق كل شيء وقبل كل شيء.

وثانيهما الأخذ بأسباب الحضارة والمدنية الحديثة في استعمال الآلات والأدوات وكل ما من شأنه أن يرفه عن الفرد العربي ويقلل من عنائه ويجلب له السعادة والخير، من وسائل الانتاج والتنظيم على اختلاف أنواعها إلى طرق التثقيف والعلم اللذين يساعدان على تقدم الأمة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية.

وتحرص القومية حرصاً شديداً على انتخاب أنواع الصناعات التي تجعل العراق مكتفياً بذاته - أو ما يقارب هذه الحالة - مع العلم أنه ينظر إلى أمر تتميم بقية الأقسام من البلدان العربية بإيجاد ما يتممها كوحدة اقتصادية من وجهة صناعية مستنداً في ذلك إلى انتاج البلدان ذاتها، وأنواع ذلك الانتاج من أجل توزيع الاختصاص الاقتصادي لكل قطر من الأقطار العربية.

إن أمر انتخاب الصناعات ضروري وجوهري بناءً على توفر المواد الأولية في إدامتها أو عدم توفرها. فصناعات الحديد الثقيلة، مثلاً، من العسير علينا إيجادها لأنها تفتقر إلى مادتين هامتين مفقودتين في العراق، أو صناعات الاصباغ أو غيرها. ومن أبرز الصناعات التي تراعى في العراق تلك الصناعات التي تنتج المواد القابلة للاستهلاك السريع وبكميات كبيرة مثل صناعة الاقطان والصوف والحرير والمواد الغذائية والصابون ووسائل الحلاقة وغيرها مما يفتقر إليه السكان ويستهلك بكميات كبيرة. أضف إلى ذلك تلك الصناعات التي توجد موادها الأولية في العراق، إلا أن صنعها يُفتقر إليه في الأسواق التجارية العالمية. ولا يشترط في هذا افتقار العراق إليه مثل صناعات الكحول والبيرة وغيرها من صناعات التعليب (الكونسروة) وغيرها، وكذلك صناعة الجلود على اختلاف أنواعها.



إن نظرة واحدة في المعروض من البضائع والحاجيات في الأسواق لاستهلاك الجمهور تكفي للتمييز بين التي يمكن صناعتها في العراق والتي لا يمكن، من وجهة عملية. ولا يخفى أن الفرد المدني في الوقت الحاضر يفتقر إلى المنتوجات الصناعية افتقاره إلى الأكل والشرب سواء كان ذلك في النواحي الضرورية للحياة أو الكمالية إذ ان هذه قد أصبحت جزءاً متمماً للحياة العادية.

ولأجل أن تتوطد أركان الصناعة في العراق، علينا أن نسعى إلى وضع مناهج التربية والتعليم بطريقة تكفل سد الحاجة وتشجيع الابداع الصناعي وإنشاء محطات التجارب العلمية على نفقة الدولة بحيث تكون في متناول من يريد أن يقيم تجاربه المختلفة في سبيل هذا الابداع، أو بعبارة أخرى أن الفرد العبقري بمفرده لا يتمكن دون معونة مادية وتشجيع معنوي من أن يواصل دراسته وتجاريبه ويحافظ في الوقت نفسه على معاشه اليومي هو وعائلته من دون أن يُمَدّ بمعونة مادية ويغذّى بالتشجيع من الدولة. وأرى أن يكون هذا حتى ولو لم ينتج عمله شيئاً إلا أمراً زهيداً تافهاً لأنني أعتقد مخلصاً أن هذا سيكون مقدمة لأمور أخرى هي أهم وأنفع للمجموع.

فيجب إذن أن نوفر للأفراد الذين قد أوتوا قدرة علمية أو نبغوا في علم أو فن أن يُظهروا ذلك للمجتمع في ظل معونة الدولة لهم بمختلف الطرق والوسائل.

ولا يمكن أن ينبغ العباقرة وذوي القابليات العلمية والعقلية إلا إذا بحثوا ونقّبوا في سبيل العلم للعلم ذاته بقطع النظر عن الأرباح المادية التي يجنيها الفرد، ويجب علينا أن نعمل على غرس روح العلم الصحيح والبحث والتنقيب، في نفوس ابنائنا جميعاً، وعلى الأخص أولئك الذين التحقوا بالمعاهد الصناعية أو الزراعية، ولنغرس في نفوسهم حب الفناء في المجتمع وإيثار مصالحه، وفي سبيل ذلك نمنح رعايتنا وكفالتنا إياهم.

## ثالثاً: نظرتنا إلى التعاون الدولي وأُسسه

إن القوة المادية والمعنوية ـ وأعني بذلك الصحة والعلم والسعادة الاقتصادية والشعور بالجمال والخلق القويم ـ كلها من الأمور التي تعيّن مركز الأمة بين شعوب الأرض. إننا لا نُحترم ولا يُقام لنا وزن إن لم نكن أقوياء؛ ولقد أصبحت هذه الأمور من بديهيات السياسة، ولكن لا بأس من ذكرها. فعلينا، إذن، أن نفرض على بقية الأمم حقنا في الحياة ونشعرها أننا أهل لأن نقف في مصافها بحضارتنا وكياننا المتين ومنعتنا المادية والمعنوية.

وعندما نستهدف سعادة الفرد العربي أو المجموعة العربية ألا يعني هذا أننا نستهدف ضمناً سعادة العالم الذي نحن جزءاً منه، والفرد العربي فرد في هذه الحياة؟ فبقوّتنا وشعورنا بالسعادة نكون قد قوّينا ركناً كبيراً من بنيان الأرض. ولا يمكن أن يقوم تعاون وثيق بين الأمم إلا إذا كانت كلها سائرة على أرض قوامها المساواة والتقارب، وأعني بذلك أن تكون متقاربة في القوة بكل ما فيها من معنى ومغزى وتبعات.

وقبل أن نضع أنفسنا كوحدة عظيمة في مصافّ الأمم الأخرى، علينا أن نتغلب على ثلاث عراقيل إذا ما ذللناها فإننا لا شك واصلون إلى مؤهلات المساهمة والتعاون العالميين.

**الأولى، الاستعمار**: ولا حاجة للشرح مطلقاً لأن البلاد قاست من الاستعمار الأمرّين ولا تزال، فطعمه معروف ولونه ظاهر للعيان وتأثيره ملموس محسوس. وهو يتعارض ومصلحتنا ويتعارض مع مساهمتنا في بناء الحضارة العالمية لأن الإرادة العليا في الأمة متشعبة متفرعة. والإرادة مزدوجة إن لم نقل إن الإرادة ليست بيد الأمة ذاتها، فليس من الطبيعي إذن سؤالها عن المساهمة في بناء الحضارة البشرية، وهي لم تستكمل شروط شخصيتها بعد.

**الثانية، النظام الرأسمالي الاستغلالي**: ونقصد به الحرية الاقتصادية (Laisser faire) بحيث يفسح المجال لاستغلال الفرد (بمجرد وجود المال لديه) جهود أكبر عدد ممكن من السكان دون أن يكون لهؤلاء حصة بالربح أو رأي في الانتاج. فلذا علينا أن نتدخل في شؤون الفرد الاقتصادية خاصة أن وضع الأمة بذاتها ووجود الأفراد من المستهلكين ووجود الأنظمة والقوانين هي التي تكون مسؤولة عن نمو الثروة واستغلال رأس المال. فليس من العدل أو الحق أو المنطق أن لا تتدخل الدولة في أمر هي في الحقيقة مسؤولة عن وجوده في المجتمع.

**الثالثة، عللنا الاجتماعية والاقتصادية الداخلية**: وقد أوضحت ذلك قبلاً.

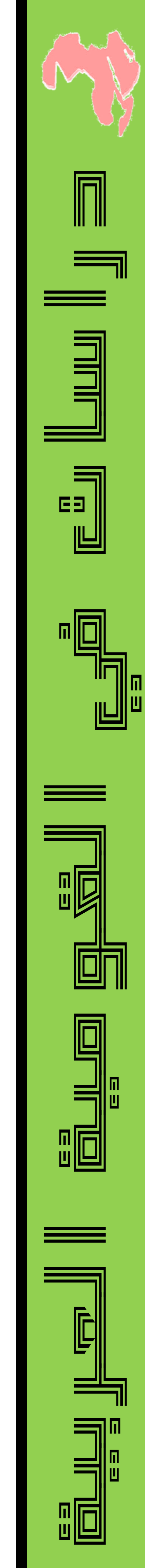
إن مقاومة العراقيل الثلاث الأنفة الذكر هي التي تعمل على استقرار شخصية الأمة المادية والمعنوية بحيث يشعر بوجودها كقوة هي أهل للمساهمة في الحضارة العالمية.

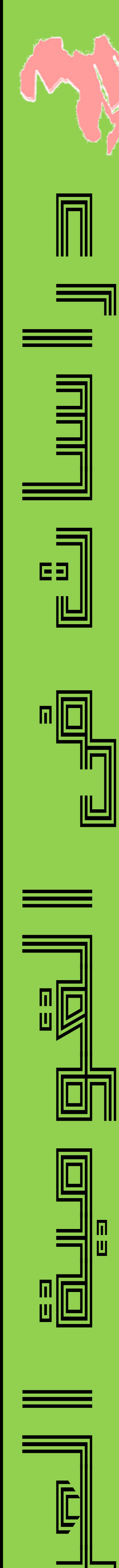
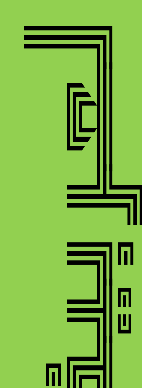
نحن نحب ولا نكره، نحب بلدانا وسعادتها ووحدتها فعلينا، إذن، أن نتحمل مسؤولية هذا الحب بالتضحية وبشن الحرب الشعواء على كل ما من شأنه أن يبعد الحبيب عن قلوبنا ويضع بيننا وبينه العقبات.

وحبنا لبلادنا هو المقياس الوحيد الذي نقيس به سياستنا الخارجية، وأعني بذلك أن مصلحة الأمة العربية هي التي تملي علينا سلوكنا وتلقي على كواهلنا المسؤوليات السياسية. فإن أوحت لنا بعداء هذا، لأن هذا يضر بصالحنا عاديناه وهذا طبيعي، ولا يعني هذا أننا نعادي الناس لمجرد العداء بل إن حفظ الحيلة يتوقف على هذا السلوك فشتّان، إذن، بين الأمرين.

عندما تعادي الاستعمار ـ في سبيل حفظ الحياة ـ إنك إنما تعادي المستعمر حتماً لأنك تقاوم مصالحه في البلاد، وهي تتعارض وصالحك حتماً ودون نزاع. ولذا نرى أن الاستعمار دائماً يتهم كل حركة قومية بأنها حركة عدوانية وينعتها بأنواع الصفات، ويؤلب عليها ميتي الشعور من أفراد الأمة.

والحركة القومية هي في الحقيقة حركة تحريرية تستهدف في الدرجة الأولى التخلص من الاستعمار وسيطرة الأجنبي، وهذا أمر طبيعي، فلذا تقوم قيامته فيتهم القوميين بأنواع التهم الشنعاء، تارة بالنازية وأخرى بالقوميين العدائيين. . . إلى آخر ما هنالك من الأوصاف



والنعوت التي تفتّ في عضد قسم كبير من ضعفاء الإيمان من أبناء الأمة النجيبة.

## رابعاً: المعسكران

معسكر قومي، ومعسكر شيوعي، أو سمّه بأسمائه المختلفة تقدمي أو يساري أو ذي القومية الحقة (كذا) أو ذي الديمقراطية الصحيحة (كذا).

وقبل أن أفصّل الفروق الجوهرية وأزيح الستار الرقيق من النعوت والصفات التي يسدلها المعسكر الثاني على نفسه كي يلبس لكل حال لبوسها، أود أن أوضح سبب وضعي هذه النعوت مرادفة للشيوعية.

إن الفلسفة الشيوعية أو الماركسية هي أصل كل المرادفات الآنفة الذكر، وكذلك حدث عن هدف كل النعوت المارة الذكر، أي أنها كلها تستهدف الشيوعية البحتة إن آجلاً أو عاجلاً (كما تفعل روسيا غير الشيوعية في الوقت الحاضر، وفي الوقت عينه تستمد من ماركس فلسفتها الأصيلة). ومثل المترادفات هذه من الشيوعية كمثل المذاهب الاسلامية المشتقة من الدين الاسلامي، فالشيعة والأحناف والشافعية والحنابلة والموالك كلها مذاهب اسلامية يوجد بينها فروق جزئية ومدارس للاجتهاد لكنها لا تختلف في أركان الإسلام الأصيلة وأسس الدين الإسلامي مطلقاً. أما سبب وجود النعوت فهو بالنسبة الى ظروف هذه الجماعة الراهنة وبالنسبة إلى كفة السياسة الراجحة في البلاد وإن كانت كفة النزعة القومية (وهم لا يتمكنون من الظهور بمبادئهم) قالوا بالقومية الحقة وتحت هذا العنوان يكتبون بما قسم الله من الشيوعيات. وإن كان الكفاح مصبوغاً بصبغة ديمقراطية كأن يكونوا مع المعسكر البريطاني ـ الأميركي، كما حدث منذ ١٩٤١ حتى ١٩٤٦ وجدناهم يكتبون تحت عنوان الديمقراطية الصحيحة أما مفهومها ـ إن سألتهم واخلصوا في الجواب ـ فهو حكم الطبقة الكادحة الذي يحلمون به، «ولربما يتحقق بعد مئات السنين في أرض الأحلام روسيا نفسها لأن الحكم فيها الآن ديكتاتوري حزبي عنيف بيد الحزب الشيوعي الذي لا يتجاوز عديده الخمسة ملايين. أما التقدمية، فكلمة عامة تدل على التطور والتجدد فتصدق على رجال الدين كما تصدق على الانقلابيين وغيرهم، ولذا شملت جميع مناحي الحياة بفروعها، وهذا ستار يختلف سمكه تبعاً للظروف والأحوال وهكذا».

هذا المعسكر الباطني، كما رأيت، يقول ويقول أشياء ويريد من ورائها أشياء وأشياء أخرى، هذا المعسكر الذي يكذب لجلب الأنصار، هذا المعسكر الذي يضع لك الكذب كحقيقة واقعة، هذا الذي يقول بالعلم والمبادىء العلمية وإن سألته عن تعريف العلم لخبط لك خبط عشواء. هذا المعسكر الذي يبشر بالكره الكالح الوجه الذي يلعب بجروح الأمة كي ينتنها فتنفجر ويمعن فيها وخزاً وتجريحاً كي تتقيح وتتفسخ، هذا السلوك هو الذي دعاني إلى توضيح هذه الحقيقة التي تناقض ما يبشر به المعسكر الأول، وهو المعسكر القومي الذي يحرص على سلامة الأمة كوحدة صحيحة، والذي يقضي على كل ما من شأنه أن يشعّب الأمة إلى كاره حاقد ومكروه يبيت على النقمة وتحيُّن الفرص للبطش.

المعسكر الأول، يعترف بالأمة كوحدة بكل أفرادها وهم سواسية في نظره من ناحية عاطفية.

المعسكر الثاني، يعترف بطبقة واحدة فقط يسميها الكادحة، أما الأخرى البرجوازية فهي مجرمة، رسالته محوها من الوجود.

المعسكر الأول، يوالي الأمة العربية التي تمثل شخصيته المادية والمعنوية فلا يعرف غير مصلحتها.

المعسكر الثاني، يوالي روسيا دون قيد أو شرط، وهو قد ينكر ذلك أحياناً. ولكن منهج الشيوعية الأممية في البند الثاني من المادة السادسة من هذه القرارات يحتم على الشيوعي كواجبه، أينما وُجد وحيثما كان، أن يوجه كل كفاح أو تيار مهما صغر شأنه في بلاده وجهة معينة، فإن كان ضد روسيا وقف لإحباطه وتغيير مجراه، وإن كان لصالحها آزره وأزاد في قوته وعنفه؛ ثم انه لا يعتبر أن له وطناً، نزولاً عند قول ماركس «ليس للعامل وطن» غير روسيا نفسها التي يعتبرها «الطليعة» باعتبارها البلاد الوحيدة التي تطمئن إلى ما يصبو إليه وهي التي تجري التجارب لتطبيق مثله العليا (الشيوعية البحتة)، ثم ان شعاره دائماً وكنصب ماثل أمام عينيه ليل نهار هو «الاتحاد بروسيا» واليك جزءاً من نص المادة السادسة:

«عندما يقع حدث ثوري في البلاد، يتقدم الحزب (الشيوعي) بشعارات (سلوكنز) انتقالية، جزء منها لتلبية المطالب التي جاءت الثورة من أجلها ولكن هذه المطاليب أيضاً يجب أن تخضع إلى الهدف المعيَّن وتحور نحو مجرى معين وهو الوصول إلى الحكم والقضاء على الطبقة البرجوازية ويجب أن لا تقف الجبهة (الشيوعية) مكتوفة الأيدي بل عليها أن تستغل كل حاجة يومية للعمال ولو صغيرة في سبيل قيادتهم نحو الهدف المتوخى وهو الثورة وقلب نظام الحكم البرجوازي».

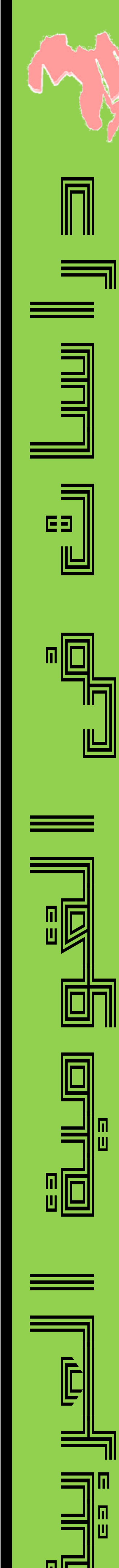
ومن تتبع الشعارات المختلفة، والهتافات المتنوعة التي رددها هؤلاء أثناء الحركة الأخيرة يفهم بجلاء ما معنى هذه المادة وإلى أي مدى تطبَّق بكل جلاء ووضوح، ولم تختلف في تطبيقها أي جهة عن الأخرى، ويرى هذا أوضح عندما تقلب صفحات صحفهم المختلفة.

وإليك نص البند الثاني من المادة الخامسة من برنامج الشيوعية الأممية:

«وبما أنها (روسيا) هي أرض دكتاتورية الكادحين، وهي التي تبني الاشتراكية وتعمل لها، وهي أرض تنجز فيها الطبقة العاملة عظائم الأمور وجسامها، وهي أرض اتحاد العمال والفلاحين الذين يسيرون جنباً إلى جنب تحت راية الماركسية في الاتحاد السوفياتي، فلذا تصبح روسيا قاعدة لكل الحركات التي تقوم بها الطبقة المضطهدة، ومركزاً للثورة الأممية، وإن الكادح قد وجد لأول مرة في تاريخ البشرية بلاداً هي حقيقة بلاده، ولذا تصبح روسيا السوفياتية مركزاً لجذب كل كادحي العالم».

وإليك البند الثالث من المادة الخامسة أيضاً:

«ونظراً للحقيقة الواقعة، وهي أن روسيا السوفياتية هي «الوطن الأم» الوحيدة لكادحي العالم، وبما أنها أرض احلامهم، فعليهم أن يسهّلوا - أينما وجدوا - نجاح ما هو قائم في روسيا. وإنها عامل هام في تحريرهم من ربقة الرأسمالية، ولذا عليهم أن يسهّلوا - أينما وجدوا - نجاح ما هو قائم في روسيا في البناء الاشتراكي، وعليهم أن يدافعوا عنها بكل ما أوتوا من قوة وأن يقفوا ضد أي عدوان».



المعسكر الأول ـ يقول دائماً: أيها العرب اتحدوا وادأبوا لنيل حريتكم واستقلالكم فلكم حق الحياة والحرية والسعادة.

المعسكر الثاني ـ يقول دائماً: أيها العمال اتحدوا وثوروا، فليس لكم من وطن (غير روسيا الآن طبعاً)، واقضوا على الطبقة البرجوازية من أبناء جلدتكم (لمجرد وجود المال لديهم)، ثم اقتلوهم واصلبوهم على جذوع النخل واجعلوا الدماء تسيل انهاراً كما فعلت روسيا، وطنكم الروحي.

المعسكر الأول ـ يكره الاستعمار ويحاربه مهما كان نوعه حرباً لا هوادة فيها للدفاع عن حياة أمته.

المعسكر الثاني ـ يكره الاستعمار غير الروسي فقط، ويسمّي النوع الروسي منه تحريراً، كما يقولون ذلك عن شرقي أوروبا.

المعسكر الأول ـ يكره الرأسمالية الاستغلالية لأنها لا توصله إلى ما يهدف إليه من سعادة المجتمع العربي لأن الاستغلال يتعارض ومصلحة الأمة العربية جمعاء.

المعسكر الثاني ـ يستغل الرأسمالية كي تثور الطبقة العاملة إذا ما وصلت الرأسمالية الى أعقد مراحلها حيث تخنق نفسها بنفسها فتصبح الثورة طبيعية ونتيجة تمايز مراكز ثقل رأس المال.

أبعد كل هذه الفوارق يجرؤ أمرؤ منهم أن يقول «أنا قومي أيضاً» كما يفعل قسم منهم؟ أبعد كل هذه المعالم الواضحة والتباين البارز يجرؤ منهم نفر على أن يخدع القوميين بقوله «أنا عربي، فأنا قومي، إذن» أو من قال «إنني لست بالقومي»؟ ويعتقد أن بمجرد كونه من هذه البلاد أو أنه عربي يكون في عداد القوميين، ولا يدري المسكين أن أول شرط للقومي أن يوالي أمة واحدة وأن يرعى مصلحة أمة واحدة فقط، ومن بعد ذلك ينظر إلى العالم الخارجي. هل القومي هو الذي يتظاهر متباكياً على الحريات (الديمقراطية) في الوقت الذي يموت فيه المئات من العرب في فلسطين وتئن هذه البقعة العربية ومليون ونصف من العرب تحت عبء الاستعمار الصهيوني البريطاني المزدوج؟ يسكتون عن فلسطين طبعاً لأن روسيا وافقت على التقسيم ولأنها تريد إرضاء الأخوّة اليهودية العالمية لمصالحها فقط. وما يرضي روسيا يرضيه طبعاً لأن ولاءه لها، ولا يرى مصلحة في غير ما تراه روسيا نفسها. فهل هذه قوميتكم الحقة؟!



